جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(١٢)

المشترك اللفظي في اللغة العربية

الاستاذ المساعد الدكتور
عبدالكريم شديد محمد

١٤٢٨هـ
٢٠٠٧م

جميع الآراء التي في هذا المطبوع لا تمثل رأي المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شغلت دراسة دلالة الألفاظ قدراً كبيراً من اهتمام الباحثين القدامى والمحدثين، فقد تناولها بالبحث علماء اللغة والفلاسفة والمناطقة، واذا كان اهتمام القدامى منهم منصباً على النظر في مسائل اللغة بمنهج عقلي نظري كما نجد في دراسة الصلة بين اللفظ ومدلوله، وآرائهم في انواع الدلالات اللفظية واقسامها، فان اللغويين المحدثين قد جعلوا همهم في دراسة الظواهر اللغوية الدلالية باستجلاء خصائصها وتتبع آثارها التي تظهر على صعيد الاستعمال اللغوي بمختلف مستوياته.

وحين بدأت التفكير في آختيار موضوع البحث فضلت دراسة ظاهرة لغوية دلالية من ظواهر اللغة العربية الفصحى، فكان مما أثار اهتمامي ولفت نظري ظاهرة المشترك اللفظي في العربية الفصحى،اذ وجدت فيها موضوعاً جديراً بالبحث لامرين: اولهما اختلاف الآراء بين علماء اللغة في تحديد مفهومها وتعليل نشأتها، وثانيهما مالهذه الظاهرة من سعة تجعلها احدى الظواهر الدلالية البارزة في العربية.

وقد سلكت في دراستي المنهج الوصفي القائم على وصف الحقائق اللغوية في حقبة زمنية معينة وفي بيئة محددة، ثم تفسيرها بالأستناد الى طبيعة اللغة ومنطقها الخاص بمعزل عن كل ماهو غريب عن اللغة من

افتراضات واحكام نظرية غير مستمدة من الواقع اللغوي، فكان ان اوليت الإستعمال اللغوي اهتماماً ظاهراً تمثل في الكثير من صفحات البحث في الرجوع الى أفراد الجماعة اللغوية لمعرفة الأشهر والأغلب في استعمالهم وتبين طبيعة ادراكهم للخصائص اللغوية.

تقع الدراسة في اربعة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة تجمل نتائج البحث وأهم ماجاء به من آراء.

تناولت في الفصل الأول دراسة دلالة الألفاظ وتطورها في العربية الفصحى فعرضت المذاهب الرئيسة في تفسير العلاقة بين اللفظ ومدلوله مع مناقشة الأراء التي عرضها اصحاب المذاهب من قدامى ومحدثين، لأخلص من ذلك الى ماأرتئيه في هذه المسألة. ثم عمدت الى دراسة التطور الدلالي في اللغات بصورة عامة وفي العربية الفصحى بصورة خاصة. وقد حرصت على أن استقي الشواهد والأمثلة من الألفاظ الفصيحة معرضاً عن معاني المولدين واستعمالاتهم الا ما جاء على طريقة الفصحاء. كما ضمّنت الفصل عرضاً لآراء بعض اللغويين ممن ورد عنه في تغير المعاني رأي استصوبناه او نهج في ذلك منهجاً استحسناه.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة مفهوم المشترك اللفظي وخصائصه في الدراسات اللغوية، فبدأت بعرض آراء مختلف الباحثين في فهمهم لحقيقة الاشتراك اللفظي، وبعد أن فرغت من عرض ذلك

ومناقشة كل رأي جدير بالمناقشة، عمدت الى الالفاظ المشتركة التي ضمتها المصادر اللغوية وكتب المشترك اللفظي فأقمت منها دراسة تحليلية تناولت جانبي البناء والمعنى مستخلصاً المفهوم اللغوي الدقيق الذي يعبر عن خصائص المشترك اللفظي في العربية الفصحى.

وفي الفصل الثالث تناولت بالبحث عوامل نشأة المشترك اللفظي متصدياً لآراء الباحثين ومذاهبهم في كيفية نشوئه وقد فصلت القول في دراسة كل عامل على حدة ذاكراً ماقيل في اثره مع التمثيل له بالالفاظ المشتركة التي نشآت عنه.

اما الفصل الرابع فقد درست فيه خصائص استعمال الالفاظ المشتركة فكان بمثابة دراسة تطبيقية عملية قوامها مايتركه اللفظ المشترك من آثار في الاستعمال اللغوي، كالغموض الذي يكتنف معاني الالفاظ المشتركة والتردد في تحديد المعنى المراد باستعماله ووسائل ايضاح الغموض وازالة التردد، كما تطرقت الى دراسة موضوع بكر في مباحث استعمال المشترك اللفظي هو صراع المعاني الذي يصاحب المشترك عند الاستعمال وقد رجعت في ذلك الى الشواهد من الالفاظ والنصوص الادبية وحقائق الاستعمال اللغوي السابق والحاضر،لاستخلاص نتائج ذلك الصراع، ثم ختمت الفصل بالتعرض لأهم الفنون البلاغية التي يستعمل فيها المشترك اللفظي كالجناس التام والتورية وغير ذلك من فنون القول كالملاحن والألغاز اللغوية والفقهية.

وانهيت البحث بخاتمة ضمت اهم النتائج والأراء.....

وبعد، فليس بخافٍ على القارىء ان هذا الموضوع وأمثاله يتطلب من الباحث جهداً غير يسير في البحث والاستقراء والتتبع، بسبب من أن المصادر اللغوية لاتسعف الباحث في أمر مهم من مستلزمات البحث في ظواهر تطور دلالة الألفاظ، ذلك هو تبيان المراحل التي مر بها اللفظ في تطور دلالته ونسبة كل معنى الى مرحلته التأريخية التي نشأ فيها، فكان عليّ أن أجدّ في التمحيص والتدقيق للوصول الى النتائج العلمية، ولعلي وفقت في تقديم ماكنت آمل في الوصول اليه....

والله الموفق من بعد ذلك.

الفصل الأول

دلالة الألفاظ وتطورها

علاقة اللفظ بمدلوله:

تعد هذه المسألة من المسائل الأولى التي شغل الأنسان بها فكره منذ بداية البحث اللغوي، فقد لفت انتباهه ما لألفاظ اللغة من أثر في نفسه وفي مجتمعه فراح يفكر في كنه العلاقة بين اللفظ وما يدل عليه، الا أن هذا التفكير كان متمثلاً بالتأمل الفكري المجرد، شأنه في هذا شأن كل المعارف الانسانية إبّان بدء نشوئها، كذلك كان تفكيره مقصوراً على لغة محددة- هي لغته الخاصة به- إذ لم يكن بمقدوره آنذاك عقد الموازنات اللغوية للخروج بنتائج تتسم بالشمول.

لقد إتجه الفكر البشري أول الأمر صوب التفسير الغيبي متوسلاً به لبيان العلاقة بين اللفظ ومدلوله، فربط بين الأسم والمدلول وجعلهما مظهرين لجوهر واحد، بل ذهب الى ابعد من ذلك فرأى أن مجرد ذكر الأسم يستلزم استدعاء مدلوله واستحضاره فذكر لفظ الموت يستدعي الموت، وتلفظ اسم مرض أو حيوان ضارٍ يجيء به ماثلاً امام المتكلم، لذلك نجد كثيراً من الأمم البدائية، وبعض المجتمعات المتحضرة تتحاشى ذكر هذه الالفاظ في حديثها،وتلجأ بدلاً من ذلك الى مختلف الوسائل مثل الكناية عنها، وهذه الظاهرة تسمى ((الحظر اللغوي Taboo [1])).

---

(١) للتوسع في قضية الربط بين اللفظ ومدلوله أنظر: اللغة: فندرس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة ١٩٥٠، ص٢٣٧، ٢٧٩- ٢٨٣، دلالة الالفاظ: ابراهيم انيس ط١٩٧٢،٣ص ١٤٤، كلام العرب حسن ظاظا ط ١، ١٩٧١ ص ٤٢، البحث اللغوي عند الهنود، احمد مختار عمر، ط١، ١٩٧٢ بيروت ص ١٠٢.

ونجد ملامح من هذا الضرب من التفكير فيمـــا ذهب اليه المفكرون واللغويون المسلمون حين تناول بالبحث الأسم والمسمى، فرأى قسم منهم أن الأسم هو عين المسمى، في حين رأى آخرون رأياً مخالفاً[1] .

الا أن الفكر اللغوي مالبث أن طرح هذه النظرة جانباً وبدأ يفتش عن جواب مرض عن هذه المسألة، فخلفت لنا الحضارات المختلفة آراء مختلفة فيها، ونحن انما نعرض منها مانعرض في الصفحات الآتية لما لها من أثر في الدراسات اللغوية وما ظهر من آراء ومذاهب فيما يتعلق بموضوع بحثنا..

دلالة الألفاظ الذاتية (الطبيعية):

يـــدل اللفظ على مـــدلولـــه بمقتضى هذا المذهب دلالة ناشئة من ذاته، اي ان في اصوات اللفظ ما يحمل دلالته، وبذلك يختص كل لفظ بمدلول معين لان طبيعة اللفظ اوذاته تستلزم ان يكون له هذا المعنى دون ذاك، بحيث اذا سمع اللفظ انتقل الذهن الى معناه انتقالا مباشرا. وقد نقلت لنا المصادر (حكاية) ذلك الرجل الذي كان يقول بهذا

---

(١) تفصيل ذلك في: التفسير الكبير: الفخر الرازي – المطبعة البهية مصر ١/ ١٠٨ – ١١٠.

المذهب فعرضوا عليه لفظاً اعجمياً لايعرفه، فأخبرهم بأنه يجد فيه يبساً شديداً وأنه يراه أسم الحجر، وكان كذلك [١].

يبدو لنا أن هذا المذهب قديم فقد أشارت الدراسات اللغوية التأريخية إلى أن فريقا من اللغويين الهنود القدامى قد ذهبوا اليه وصرحوا بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعية [٢]، ونجد مثل ذلك عند طائفة من مفكري اليونان وفي مقدمتهم سقراط وأفلاطون فقد مالوا الى القول بوجود صلة طبيعية بين الفاظ لغتهم اليونانية ومدلولاتها، وحين كانت هذه العلاقة تبدو غير واضحة افترضوا أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة في بدء نشأتها الا إن التطور الذي اصاب الالفاظ جعل من الصعب الوصول اليها[٣].

أما اللغويون العرب فأن هذا المذهب قد وجد قبولاً لدى بعضهم، وقد تفاوت هذا القبول بين التصريح بالدلالة الذاتية المحضة لدى عباد ا بن سليمان الصيمري المعتزلي واتباعه، والقول بوجود خصائص لغوية تشير الى وجود تناسب بين الالفاظ والمعاني كما في خضم وقضم،

---

(١) المزهر في علوم اللغة وانواعها: جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى واخرين- ط البابي الحلبي ١ / ٤٧، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت – عبدالعلي الانصاري، طبع ذيلا للمستصفى في علم الأصول للغزالي، ط ١ بولاق ١٣٢٢هـ ١٨٤/١- ١٨٥ .

(٢) البحث اللغوي عند الهنود: احمد مختار عمر ص ١٠٢.

(٣) دلالة الألفاظ: ابراهيم انيس ص ٦٣.

أوبين الصيغ الصرفيه وطبيعة الحدث الذى تدل عليه كما في صرّوصَرْصَرَ،ونجد هذا مبثوثاً في مؤلفات ابن جني بصورة خاصة[١].

احتج عباد بن سليمان الصيمري لمذهبه بأنه لولا القول بالدلالة الذاتية لكان اختصاص اللفظ بمعناه ترجيحاً من غير مرجح [٢]. وهذا يصور لنا المنهج العقلي الذي سارت عليه طائفة من اللغويين٠ وهو منهج سلكت سبيله طائفة أخرى وردّت حجة عباد هذه بما ينقضها، فأدى بمذهبه أخيراً الى أن يصير رأياً متطرفاً لايجد من يؤمن به٠

اتخذت الدلالة الذاتية مظاهر مختلفة في تاريخ علم اللغة، منها القول بأن اللفظ يدل على معناه بذاته وبما تحمله هذه االذات من أصوات معينة تناسب المعنى، ووصل الامر ببعض مؤيدى هذا الرأي الى القول بأن ((عنده قوانين يفهم منها كل لسان على وجه كلي[٣])). وذلك بمجرد سماعه اللفظ. وقد راح بعض اللغويين ينسب لحروف اللغة دلالات معينة، من ذلك ((أن الجيم والنون تدلان ابدأ على الستر[٤])). وأن

---

(١) انظر على سبيل المثال: الخصائص: ابن جنى تحقيق محمد علي النجار جـ ٢ص ١٥٢-ـ ص ١٦٨ (باب في امساس الالفاظ أشباه المعانى) طبعة دار الكتب المصرية – ١٩٥٢.

(٢) التفسير الكبير: الفخر الرازي ١: ٢٢، المزهر: السيوطي ١: ١٧ .

(٣) مسلم الثبوت: محب الله بن عبد الشكور، ط ١- مط الحسينية مصر ١٣٢٦ هـ ص ١٢٣.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي بيروت ١٩٦٣، ص٦٧.

الغين تدل على الغياب والاستتار كما في غاب وغام.....الخ وبناءً على هذا تكون للحرف المفرد قيمة تعبيرية خاصة.

إن البحث اللغوي الحديث يقر بأن الأصوات اللغوية تتباين فيما بينها من حيث وقعها وأثرها في نفس السامع، لكنه لايتعدى ذلك الحد، بل يقف هو والقيمة التعبيرية للصوت المفرد على طرفي نقيض، (وليس هناك معنى محدد لصوت السين أو صوت الصاد أو لأي صوت آخر[١]. ويرى أن الأستخدام اللغوي للألفاظ يكسبها قدرتها الايحائية في البيئة اللغوية التي جرى فيها هذا الاستخدام وقد اوضح علم اللغة المقارن ذلك بجلاء، فقد ظهر ان مافي اللغات من الفاظ تنسب الى الدلالة الذاتية مختلف بأختلاف الجماعات اللغوية، وأن لكل بيئة لغوية ألفاظها الخاصة بها، ولو كان الامر كما قال اصحاب الدلالة الذاتية مااختلفت تلك الالفاظ، وذلك يعكس اثر الجماعات اللغوية في وضعها[٢].

لقد استقر الرأي على نفي اي علاقة طبيعية بين اللفظ ومدلوله، أما ماذهب اليه بعض الباحثين من أن البحث العلمي اثبت صحة النظرية القائلة بوجود صلة بين الأصوات ومدلولاتها متمثلة بالأدلة التي عرضها

---

(١) علم اللغة العربية: الدكتور محمود فهمي حجازي ، ط١، ١٩٧٣ – الكويت ص ١٣، البحث عن دلالة اللفظ: مقال الدكتور مصطفى مندور في مجلة حوليات كلية الأداب جامعة عين شمس ١٩٦٣ مجلد ٨ صـــ ١٣٢.

(٢) حجازي : المصدر السابق ص ٥ .

اصحاب هذه النظرية[1]. فهو زعم ليس له مايدعمه في الدراسات اللغوية الحديثة، كما أن الباحث لم يشر الى مايؤيد قوله هذا. أما استناده الى تعريف تروبتسكوي للوحدة الصوتية بأنها أصغر وحدة للصوت للتميز بين المعاني، للقول بأن " لكل صوت دلالة خاصة تحمل في طياتها شيئاً من المعنى العام للفظ[2]" ففيه توجيه للتعريف الى غير ماقصد منه، ويدل على فهم خاطيء له.

إن تعريف الوحدة الصوتية بأنها أصغر وحدة للصوت تتميز بها المعاني يقصد به تحديد مفهوم مايعرف بالفونيم " phoneme " في علم الاصوات اللغوية الوظيفي "phonology "، فعلى هذا التعريف تعد النون الخفيفة في مثل " منك" و"عنك" والنون في كلمة " نهر" مثلاً وحدة صوتية واحدة او فونيما واحداً، على الرغم من اختلافهما الصوتي، لان هذا الاختلاف لم تستخدمه اللغة للتفرقة بين المعاني، على حين أننا لو ابدلنا بالنون الزاي مثلاً لصارت الكلمة "زهر" ولاختلف معناها عن معنى "نهر" فالزاي هنا وحدة صوتية اخرى او فونيم آخر يختلف عن

---

(١) الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين ط ١ بغداد ١٩٧٤ ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق صـــ ٧٦.

النون، كذلك الأمر في اللام المفخمة واللام المرققة فهما نوعان لوحدة صوتية واحدة [١].

أن مفهوم الوحدة الصوتية هذا لايتضمن منح الصوت المفرد دلالة ذاتية كما ذهب اليه الباحث، يضاف الى ذلك أن البحث هنا ينصب على الصوت جزءاً من لفظ مركب، لاصوتاً مفرداً يحمل دلالة خاصة تضم الى دلالات الأصوات الأخرى في اللفظ، وأن هذا التصور الأخير قد إنتهى من دحضة علم اللغة ولم يبق من يرى مدلول الكلمة مجموع دلالات أصواتها كما هو شأن دلالة الجملة المستمدة من مجموع دلالات الفاظها المفردة، فليس في الصوت دلالة خاصة (تحمل في طياتها شيئاً من المعنى العام للفظ[٢].

ومن مظاهر القول بالدلالة الذاتية ماذهب اليه بعض علماء اللغة من صلة أصوات الطبيعة وأصوات الحيوانات بألفاظ فيها ملامح تشابه بين اللفظ ومدلوله وقد رأى بعض العلماء أن ذلك قد يفسر نشأة اللغة الأنسانية بصورة عامة، وكانت تلك الألفاظ من أقوى دعائم مذهب الدلالة الذاتية للألفاظ، الا أن الدراسات اللغوية الحديثة تنظر الى تلك

---

(١) للتوسع في دراسة الفونيم ينظر: علم اللغة: د. محمود السعران. دار المعارف – مصر ١٩٦٢، ص ٢١٢- ٢٢٠ مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان، ط ٢ دار الثقافة - المغرب ١٩٧٤، صـــ ١٢٥- ١٣١.

(٢) اللغة بين العقل والمغامرة: الدكتور مصطفى مندور: الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٤، ص ١٢٩ – ١٣٢.

الألفاظ على انها لاتختلف في شيء عن باقي الألفاظ وأنها لاتحمل دلالة ذاتية خاصة بها[١]، فليست دلالات هذه الكلمات طبيعة مشتركة في كل اللغات، بل كل منها ذو ايحـــاء محـــدد في مجتمع لغوي بعينه دون غيره[٢].

إننا لانريد أن نذهب في نفي الدلالة الذاتية الى تجاهل بعض الحقائق اللغوية التي لايمكن التغاضي عنها، فأن علينا أن نسلم بأن في اللغة عناصر لغوية تلمح فيها ملامح شبه بين اللفظ والمدلول[٣]، من ذلك ما أشار اليه إبن جني من أن بعض الابنية الصرفية تشابه في توالي حركاتها مافي مدلولاتها من خصائص الحركة أو القوة أو الطول أو التقطيع:

وقد نسب أبن جني هذا المذهب الى أئمة اللغة مثل الخليل وسيبويه. ومما مثل به لذلك المصادر التي جاءت على بناء الفَعَلان كالغَلَيان والغَثَيان وقابل بينهما وبين مثاليهما ولاحظ ما بينهما من تشابه في توالي

---

(١) دلالة الالفاظ: ابراهيم انيس ص ٣٧، كلام العرب: حسن ظاظا ص ٤٦، علم اللغة العربية محمود فهمي حجازي ص ١٥، مصطفى مندور: المصدر السابق ص ٩٩ .

(٢) حجازي: المصدر السابق والصفحة ذاتها.

(٣) من اسرار اللغة: ابراهيم انيس ط٤ القاهرة ١٩٧٢. ص ١٤٥ وما بعدها التركيب اللغوي للأدب الدكتور لطفي عبد البديع ط ١ – القاهرة ١٩٧٠ ص ٦٦ – ٦٧.

حركات المثال على سمت توالي حركات الأفعال[١]. إن هذا التشابه لايدل في راينا على دلالة ذاتية محضة في أصوات الالفاظ على معنى الحركة والأضطراب، وانما يعود الى توالي حركات الالفاظ بصورة تشعر بتلك الحركة وذلك الاضطراب، ولذا تعود الدلالة هنا الى البناء الصرفي للكلمة، لا لطبيعة خاصة في أصواتها.

ونتيجة لصرف النظر عن الدلالة الذاتية للصوت المفرد، اهمل البحث اللغوي دراسة العلاقة بين اللفظ والواقع الخارجي، واتجه الى دراسة العلاقة بين اللفظ والفكرة الذهنية عن المدلول[٢]، وبعبارة أخرى أقول لم يعد يهم اللغوي طبيعة العلاقـــة التي تـــربط بين لفظ " المنضدة" مثلاً وذلك الجسم الخشبي أو الحديدي الذي تدل عليه هذه اللفظة، بل توجه اهتمامه نحو العلاقة التي تربط بين الصورة الذهنية للمنضدة ولفظ المنضدة. وللفخر الرازي في ذلك عبارة جامعة، تتفق مع ما انتهى اليه علم اللغة الحديث هي قوله " للألفاظ دلالات على مافي الأذهان لاعلى مافي الاعيان [٣].

---

(١) الخصائص: إبن جني ٢/ ١٥٢. نهج المنهج نفسه أو لمان في اسس علم الدلالات فضرب امثلة للتشابه الصوتي والمطابقة بين اصوات الكلمة والحركة التي يرجع اليها المعنى انظر مصطفى مندور: اللغة بين العقل والمغامرة ١٩٤ – ١٩٥.

(٢) دور الكلمة في اللغة: ستيفن اولمان، ط٣ مصر ١٩٧٢ ص ١٩٤، مناهج البحث في اللغة تمام حسان : ٢٤٦، ٢٤٨.

(٣) التفسير الكبير: الفخر الرازي ١/ ٢٣.

الدلالة التوقيفية :

يذهب القائلون بهذا المذهب الى أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله مستندة الى الأرادة الالهية التي خصت كل مسمى بأسمه، ثم أوحت بتلك الأسماء الى أدم الذي أورثها بنيه، ةهكذا توارث البشر لغاتهم عن اللغة الأولى التي اوحى الله بها إلى آدم في بدء الخلق [١]. وعلى هذا المذهب تجرد اللفظ من دلالته الذاتية، وصارت دلالته أمراً اضفته عليه قدرة خارجة عن ذاته.

إن المتتبع لتاريخ الدراسات اللغوية يجد هذا المذهب عند أمم مختلفة، فقد ذهبت اليه طائفة من لغويي الهنود، وقالت بأن العلاقة بين اللفظ ومدلوله ليست طبيعية وانما هي مجرد علاقة حادثة مرتجلة، ولكن طبقاً لأرادة الهية [٢].

وفي القرون الوسطى ساد المذهب مفكري عالم الغرب المسيحي الذين استندوا في مذهبهم الى ماورد في سفر التكوين من أن الرب الأله قد خلق من الطين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم، فوضع آدم لها أسماءها [٣]. وقد ظل هذا المذهب

---

(١) الصاحبي: ابن فارس ٣١ ــ ٣٤ .

(٢) البحث اللغوي عند الهنود : احمد مختار عمر ١٠٠، ١٠٤.

(٣) في فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج ، دار النهار للنشر، ١٩٦٧ بيروت ص ١٩ – ٢٠ الثنائية في اللغة: مقال للدكتور محمد مصطفى رضوان، مجلة كلية الاداب– =

معروفاً في الفكر اللغوي الغربي حتى القرن الثامن عشر اذ وجدنا بين الفلاسفة من ينادي بأن اللغة ليست من عمل القوى البشرية، وأنما هي هبة من عند الله [1].

أما لغويو العرب وعلماؤهم فقد كان القول بالتوقيف هو الرأي السائد عندهم وقد كان للجانب الديني أثر كبير في دفعهم للأخذ بهذا الرأي إذ إن الباعث على ظهور هذا الرأي عندهم ماورد في القرآن الكريم في قوله تعالى " وعلّم آدم الأسماء كلَّها...[2] " فقد اتخذوا هذه الآية سنداً لهم في رأيهم هذا. على انهم لم يكتفوا بظاهر الآية بل راحوا ينظرون في دلالات الفاظها وما تحتمله من الوجوه المختلفة، فاختلفوا في ذلك وكانت لهم أقوال متعددة تتفاوت فيما بينها في المقدار الذي وقع فيه التوقيف من اللغة، فرأت جماعة منها إبن عباس، ومجاهد أن الله علم آدم كل شيء حتى الغراب والحمامة، ورأت جماعة أخرى أن

=الجـــامعة الليبية – العـــدد ٤ سنة ١٩٧٢، ص ٣٠٢ وينظر العهـــد القديم: التكوين ٢/ ١٨ – ٢٠ .

(١) كمال يوسف الحاج: المصدر السابق ص ٢٦ .

(٢) البقرة / ٣١.

المقصود بالأسماء هو أسماء الملائكة، بينما فسرها بعض المفسرين بأسماء ذريته أجمعين [١].

وأختلفوا كذلك في تفسير تعليم الله آدم وكيفيته، ولهم في ذلك اقوال مختلفة تجدها مفصلة في مظانها [٢]. ولم يقفوا في تقليب وجوه النظر في الآية الكريمة عند هذا الحد، بل مضوا يناقشون دلالة لفظ (الأسماء) لغة واصطلاحاً وفي شمولها للأسماء والأفعال والحروف [٣].

لقد أدت هذه المباحث بالعلماء واللغويين الذين يقولون بالتوقيف الى أن يقفوا مواقف متفاوتة إزاء مسألة التوقيف، فذهب قوم في مقدمتهم أبو الحسن الاشعري وابن فورك الى أن التوقيف وقع في اللغة بصورة تامة شملت جميع الفاظها، إلا أن فريقاً آخر في مقدمته ابو اسحاق الاسفراييني كان يرى أن التوقيف وقع في بعض اللغة وهو القدر

---

(١) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) ط٢ – مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤ م مصر – ١/ ٢١٤- ٢١٧. الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس ٣١- ٣٢. المزهر: السيوطي ١ / ٢٨- ٣٠.

(٢) التفسير الكبير: الفخر الرازي ١/ ٢٢. الخصائص: ابن جنى ١/ ٤٠- ٤١. المستصفى من علم الأصول: الغزالي، ط١ بولاق ١٣٢٢ ١ / ٣٢٠ – ٣٢٢. شرح الجلال – شمس الدين على متن جمع الجوامع للسبكي (مطبوع بعنوان حاشية العلامة البناني على شرح الجلال (ط ٢ ١٩٣٧ – مصر ١/ ٢٦٩.

(٣) شرح الجلال شمس الدين ١/ ٢٦٩. المزهر: السيوطي ١/ ١١.